إسرائيل
دراسة تحليلية

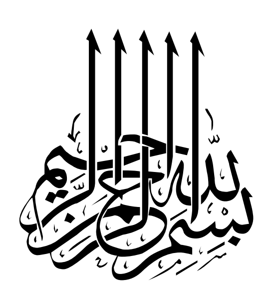
فالح إبراهيم عبود

دار المأمون للنشر والتوزيع



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@hotmail.com
www.almamoun-jo.com

إسرائيل دراسة تحليلية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصـالحات ، واصلـي واسلم على سيدنا محمد الذي أخرجنا من الظلمات إلـى النور بإذن ربه!

أما بعد :

فهـذه رســالة مــوجزة مجتــزأة مــن رســالتي الموسـومة (سـورة طه:دراسـة تحليليـة)، وهـي رسـالة تقدمتُ بهـا لنيـل شـهادة (الماجستير)في جامعـة بغداد. ولمَّـا تحقق المبتغـى وددت أن أسـارع فـي إلقـاء بعض ثمـرة الجهـد ذات الأكـل اليـانع بـين أيـدي العـارفين لتتضــافر جهـودهم مـع جهـدي، وتلـتحم أفكـارهم مـع فكــري ،وتنســجم اتجاهــاتهم مــع اتجــاهي، فنخــدم الإسلام، لكـي لا نخـرج من هـذه الـدنيا بسـهم الخاسـر، بعـد أن حَمَّلنـا الله مـن أمانـة القـران والسنة مـا حمَّلنـا. ومـن اجـل أن نكـونَ قـريبين كـلَّ القـرب مـن أحـداثنا المعاصـرة ومـا تحـيط بهـا مـن محـنٍ وإحـن وحـوائج، وحتـى لا يُتَّهَمَ المسلمون بالغفلـة أو التغافـل عـن حقهـم السليب ... رأيتُ أنْ اقدِّم هـذا المبحث ولـو أنـي لستُ أوَّلَ مـن كتـب فيـه أو آخـر مـن يكتـب ولكـن لكـل اتجـاه مشرب من فكر، ولكل قلم مسلم قَدَرٌ من نـور ... ذلـك أنـي اعلـم أن نشـر العلـم هـو حـق الله علـى عبـاده الـذي مـنحهم هـذا الفضـل الأسـمى والأمانـة العظمـى، تحمـل

رسالة العلم ورفع راية القران. ولمّا كنت اشعر بهذا الفضل يحيطني -ولو على قدر يسير- رأيتُ لزامًا عليَّ أن اضرب في ميدان العلم بسهم ، وأتعلق منه بسبب يوصلني إلى خدمة الإسلام والمسلمين ...راجياً أن يصل ذلكم النور والاتجاه إلى من يعرف للإسلام حقه، ولكتاب الله قدره، ولامة الإسلام منزلتها. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

فالح إبراهيم عبود

بنو إسرائيل

إن من أعظم ما تتسلح به الشعوب المجاهدة أنْ تعرف كل ما يتصل بعدوها في ماضيه وحاضرة، وأن تدرس أخلاقه دراسة واعية لتكون على بينة من أمرها حينما يبذل النفس والنفيس في رد عدوان المعتدين. وإن اليهود الذين فرض علينا قتالهم، لهم تاريخ كأقبح ما يكون التاريخ، ولهم أخلاق كأسوأ ما تكون الأخلاق. ولسنا ندَّعي هذا من عند أنفسنا، أو نأخذه من مصادر مشكوك في صدق أخبارها، إنما نعتمد فيما نقول على أصدق كتاب عرفته البشرية (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(١).

إن أمر البحث في بني إسرائيل لم يكن سهلاً، لأنَّ الباحث يجد نفسه وهو نازل بساحة الحديث عن هؤلاء أمام متناقضات وغرائب قد لا يمسك الكاتب بزمام إحصائها، لأنها ذات شعب تتعدد، فلابد للباحث أن يخرج بنتائج تتبعها أحكام، والطريق إلى تحليل نفسية هؤلاء غير لا حب ولا معبد، بل تعتوره الصعاب التي دونها شعاب ظلمات البحر. ولا بد أن يمتلك الكاتب دقة الإضافة، وقوة ضبط النفس، ونمطاً

(١) سورة فصلت، الآية ٤٢.

من الوسطية في إصدار الأحكام ليس عليه شوب من التعصب، ولا يمازجه التحامل على أحد، كي لا يبتعد عن سماء الحقيقة، ولا عن جو الكلمة المسؤولة. لذلك يتحتم على الكاتب أو الباحث أن يعتمد كتاب الحقائق الصادقة والبراهين الساطعة: ذلكم هو القرآن الكريم ذو القول الحق (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلا)[١].

وبعد: فمن هم بنو إسرائيل؟

إنهم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فهم معروفون جميعاً بأبناء إسرائيل أي أسباط إبراهيم وإسحاق.

ويذكرهم القرآن كثيراً ببني إسرائيل. ومعناه: عبد الله وهو يعقوب عليه السلام. وقد بلغ ذكرهم في القرآن الكريم بهذه الكنية ستاً وأربعين مرة. وإنك لتجد أن الله قد خصهم باللعنة إحدى عشرة مرة سوى اللعنة التي دخلوا بها مع غيرهم ممن لعن الله في كتابه العزيز**!** فأيّ قوم هؤلاء يرجعون إلى أب الأنبياء سيدنا إبراهيم وإلى إسحاق ويعقوب اولئكم الأنبياء الذين بارك الله عليهم، ثم بعد تجيء اللعنة على أسباطهم بجدارة واستحقاق (وحديث القرآن يفيدنا أن هذه الطائفة كان لها مجد النسب إلى إبراهيم عليه السلام ... ولكنها طمست مجدها بسوء صنيعتها وشذوذها عن مقتضيات هذا

---

(١) سورة النساء، الآية ١٢٢.

النسب، بما أحدثت في دنياها مما تبكي له الإنسانية جزعاً مما أصابها، وما تلقاه البشرية من مفاسدها حينا بعد حين قال تعالى: [فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ])[1] وليس ما أطلقه القرآن من تسميتهم ببني إسرائيل هو الاسم الأوحد لهؤلاء وإنما قد سموا بأسماء أخر منها (يقال لهم عبرانيون وعبريون من العبر، أي من عبور جدهم الأعلى إبراهيم نهر الفرات، وهم قد دعوا إسرائيليين وبني إسرائيل نسبة إلى إسرائيل نبي الله وهو يعقوب فأطلق الاسم على جميع الأسباط من عقبه ثم على فئة منهم إلى أن انقرضت فعمهم الاسم جميعا ويقال لهم "هود" و "هادوا" وقد تغلبت كلمة يهود عليهم وأصلها "يهوذا" وهو سبط من أسباط بني إسرائيل ... سموا بهذا الاسم تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا "إسرائيل" إلى أن تشتت الأسباط وأسر يهوذا ومن ثم دعي جميع نسل يعقوب "يهودا" ويهوذا جد هذا السبط وهو رابع أولاد يعقوب ومعنى "هاد" يهود، هودا، تهود: تاب ورجع إلى الحق وفي القرآن (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)[2] أي تبنا

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

إليك، وسميت اليهود اشتقاقاً من هادوا أي تابوا وأطلق القرآن الكريم عليهم عبارة "أهل الكتاب" وهي لا تعني أنهم أصحاب علم بالكتابة، وإنما المراد بذلك: أنهم أهل كتاب سماويّ منَزَّل وهو التوراة. ويدخل في هذه التسمية أيضاً النصارى لوجود كتاب سماويّ لديهم: وهو الإنجيل. وهكذا فإن تسمية "أهل الكتاب" في القرآن يقصد بها اليهود والنصارى)[١].

وإني أجد نمطين من أنماط السلوك في بني إسرائيل:

النمط الأول: هو النمط المؤمن العالم النصيح الأمين الذين شهدت لهم آيات القرآن، أولئك الذين قالوا لقارون (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ)[٢] إلى آخر ما قالوه ثم قولهم للذين يريدون الحياة الدنيا (وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ)[٣] وهذا الصنف الزاكي هم الذين قال عنهم الله تعالى في سورة الأعراف:

(وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)[٤].

كذلك جاء فيها (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ)[١] والذين قال عنهم فيها:

---

(١) اليهود في القرآن، ص١٥و١٦.
(٢) سورة القصص، آية ٧٧.
(٣) سورة القصص، الآية ٨٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٩.

(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا)(٢).

وذكرت سورة السجدة الوصف المحمود (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)(٣).

وفي سورة القصص (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۞ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)(٤).

وسورة الأحقاف (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(٥).

ثم يجيء التعبير القرآني الجامع والفاصل بين

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٣٧.
(٣) سورة السجدة، الآية ٢٤.
(٤) سورة القصص، الآيات ٥٢-٥٥.
(٥) سورة الأحقاف، الآية ١٠.

النمطين: نمط الخير ونمط الشر (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ)(١).

ثم يجيء الحديث عن النمط الآخر هم الذين يتحقق فيهم الوصف القرآني:

(وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)(٢).

لقد فرط منهم الإفساد في الأرض والاستعلاء فيها. كانوا مستعلين على أوامر الله ونواهيه، وعلى أنبياء الله ورسله، وعلى من يأمر بالقسط من الناس قد خاضوا في ذات الإله، واتهموا أنبياء الله بشرِّ التهم فما نجا منهم أوائل أنبيائهم ولا أواخرهم، قتلوا أنبياء الله بغير حق فمن غريب صنيع هؤلاء القوم أنهم

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ١١٣-١١٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٤.

يتجرءون على قتل أنبيائهم ولم يتجرءوا على قتل طغاتهم كفرعون وفي ذلك دليل على فساد طوية القوم. ومع ذلك التفريط المتعمد في جنب الله وأنبيائه ورسله والناس أجمعين يدعون لأنفسهم أنهم شعب الله المختار فأي إله هذا الذي هم شعبه: هل هو (يهوذا) إلههم المزعوم؟ ومن الذي منحهم هذا الاختيار؟ وعلى أي أساس يقوم هذا الامتياز؟؟

إن الذي يعرفه المنصفون من العلماء: أنَّ هؤلاء القوم قد ضُرِبَتْ عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله، ملعونين أينما ثقفوا حكم الله عليهم بالتشريد في الأرض، وأن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، وهم الذين مسخهم قردة وخنازير[1] ومثلهم بالحمار:

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[2].

وكما عاقبهم الله بقسوة القلب التي معها لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وحرم عليهم طيبات

---

(١) فأما الخنازير فيكفي في وصفها نبأ تحريمها وأما القردة فدونك المثل العربي المشهور (أزنى من قرد) كما ذكره الزمخشري في المستقصى من أمثال العرب، ١٤٩/١، وما كان ذلك إلا للاستخفاف والإهانة والإذلال.

(٢) سورة الجمعة، الآية ٥.

أحلت لهم وحمل الأصر والأغلال عليهم، وكل ذلك العقاب الذي صبه الله عليهم في الدنيا ثم يتبعهم ما هو أشد منه في الآخرة، لأنهم نسوا ما ذكروا به وجحدوا نعمة الله عليهم إذ فضلهم على أهل زمانهم، رزقاً وعلماً ليبتليهم فيما آتاهم ولكنهم كانوا أنفسهم يظلمون (سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[١].

ولقد عاش هؤلاء غرباء في اطباعهم، كما عاشوا غرباء في الأوطان، يقول اللورد بيرون الذي خلد تشريد بني إسرائيل في اغانيه العبرية:

(إن للحمامة البيضاء عشاً صغيراً وللثعلب وكراً ولكل إنسان وطنه ولا وطن لليهود)[٢].

فلقد أراد الله لهم نعمة الاستقرار في جنات وعيون ومقام كريم، لكنهم بدَّلوا نعمة الله كفراً وقد أراد الله لهم أن يدخلوا الأرض المقدسة فأبوا وأعلنوا عن فساد طويتهم وسواد خبيئة نفوسهم: قالوا مقالة السوء التي جرت مضرب المثل في الجبن والانهزام في مواقف الشدة (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢١١.

(٢) منبر الإسلام: مقارنة الأديان أحمد شلبي، العدد/١، السنة/٢٣ ص٦٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٢٤.

كأنك تشم من هذا التخاذل رائحة التبرئ والانسلاخ من دين موسى عليه السلام (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ) أليس بربهم كما هو رب موسى؟ وما أشبه الليلة بالبارحة فلقد قال فرعون من قبل لموسى عليه السلام (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)[١]. فأنت تقرأ فرعون عن كفره كما يكشف عن كفر هؤلاء خطابهم لموسى عليه السلام. وإن سألت عن سبب رفضهم أمر الله ونبيهم موسى فإني أرى أن ذلك يرجع إلى جذور الوثنية التي تأصَّلَتْ في نفوسهم يقول عفيف عبد الفتاح طباره:

(إن الوثنية كانت متأصلة آثارها في قلوب بني إسرائيل بسبب ملازمتهم الطويلة للمصريين)[٢].

لذلك كانوا لا يحسنون طاعة لله ولا رسوله، ولا يلتزمون الصدق في عهودهم ومواثيقهم. ولا غرابة في ذلك، فإن بني إسرائيل ذكروا أول ما ذكروا بعد قصة إبليس مع آدم، وفي بني إسرائيل ما في إبليس من المثالب الكثيرة فإبليس عُرِفَ بالحسد، وهم أشد الناس حسداً: حسدوا أخاهم وقالوا (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ)[٣].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٣٤.
(٢) اليهود في القرآن، ص٢٢٤.
(٣) سورة يوسف، الآية ٩.

وإبليس رفع صوته بالعنصرية وقال (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)[1] وهؤلاء يرفعون عقيدتهم بالعنصرية ويقولون: (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)[2] وإبليس عمله الفساد والإفساد في الأرض، وهؤلاء يقول الله فيهم:

(الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ)[3].

إن هذه الطائفة التي جعلها الله من نسب إبراهيم عليه السلام لكنها ضلت، وأقحمت نفسها في مسلك ذميم، ووضعت نفسها في التاريخ بين طرفين متناقضين طرف النبوة في أولها ... وطرف الكفر الذي انحدرت إليه أكثريتها وعاشت عليه أطول حياتها ولا تزال مغمورة فيه. وهكذا كان إبليس إذ أتاح الله له مجداً سابقاً بين الملائكة، ثم حنى على نفسه وكشف بسوء صنيعه عن خبث طبيعته، غير عابئ بسوء عقباه ... ولا حاسب أدنى حساب لوعيد الله [4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٧.

(٤) منبر الإسلام، عبد اللطيف السبكي، العدد /٦، السنة/٢٥، ص/٢٢، جمادى الآخر ١٣٨٧هـ.

ولا نجاوز الحقيقة العلمية إذا قلنا إن اليهود كانوا في إساءة الأدب مع الله أشد من إبليس، لأن الأخير لم يطع الله عندما أمره بالسجود فغاية إساءته أنه لم يمتثل أمر الله، وأما بنو إسرائيل فإنهم جعلوا لله شركاء مع وجود نبيهم وكتاب الله التوراة والآيات الحسية تجري بينهم من عند الله معجزات بينات مع كل ذلك اتخذوا العجل إلهاً من دون الله عَبَدُوه عن حب (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ)[١].

قال أبو الحسن الشاذلي (أحذر أن يكون إبليس أعلى منك في الأدب مع الله تعالى، قيل وكيف ذلك؟ فقال: لأنه لم ينازع الله تعالى في وصف من أوصافه قط، وقال: إني أخاف الله رب العالمين. وغاية أمره أنه خالف الأمر فاستحق اللعنة والطرد. ومخالفة الأمر أهون من طلب العبد أن يكون شريكاً لله عز وجل فيما يستحقه على عباده)[٢].

أقول:

وقد خاطب إبليس الله بصفة الربوبية فقال له (رَبِّ)[٣] وما صدر عن بني إسرائيل مثل هذا، إنما

---

(١) سورة البقرة، الآية ٩٣.
(٢) منبر الإسلام، الإمام عبد الوهاب الشعْراني.
(٣) سورة الحجر، الآية ٣٩.

كانوا يخاطبون موسى بمثل قولهم (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ)[1] و (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ)[2] وقد أقسم إبليس بعزة الله (فبعزتك)[3] أما بنو إسرائيل فما عرفوا لله عزة، وما كانوا يرجون لله وقاراً: فقد قالوا (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)[4] كما قالوا (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ)[5] وقد قالوا (عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ)[6].

أقول / والله عز وجل بأمره لأبن آدم أن يتخذ إبليس عدواً (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)[7] إنما يحيطه علما بأن هذه العداوة سرمدية ليكونَ الإنسان أبداً على حَذَرٍ من عدوه، وما إخبار الله لآدم بهذه العداوة (إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ)[8] إلا حفز لدواعي الحذر. فكما أخبر الله الإنسان الأول أخبر ذريته (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)[9].

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٤٩.
(٢) سورة المائدة، الآية ٢٤.
(٣) سورة ص، الآية ٨٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٨١.
(٥) سورة المائدة، الآية ٦٤.
(٦) سورة التوبة، الآية ٣٠.
(٧) سورة فاطر، الآية ٦.
(٨) سورة طه، الآية ١١٧.
(٩) سورة يونس، الآية ٥.

لذلك صدر عن الحق لأهل التكليف من أمة محمد ﷺ نهيه لينزجروا عن إتباع خطوات الشيطان (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)(١) كما نهاهم بعد عن أتحاذ اليهود والنصارى أولياء من دون الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ)(٢).

فأنت تجد أن الحق عز وجل يضع نصب أعين المؤمنين عدوين أثنين:

أولهما إبليس.

وثانيهما اليهود الذين قال فيهم (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ)(٣).

وكلا العدوين استحق صريح اللعنة من الله. فكما لُعِنَ الشيطان لعن الذين كفروا من بني إسرائيل (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)(٤).

فإذا كانت هذه لعنة أنبياء الله لهم، فأستمع إلى الحق يخبرك عن لعنته لهم (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ)(٥).

---

(١) سورة النور، الآية ٢١.
(٢) سورة المائدة، الآية ٥١.
(٣) سورة المائدة، الآية ٨٢.
(٤) سورة المائدة، الآية ٧٨.
(٥) سورة لمائدة، الآية ١٣.

وسأحدثك عن مثالبَ جامعة بينهم وبين الشيطان منها:

الخيانة، فقد أخبر الحق عن موقف الشيطان من الكافرين في بدر الكبرى هذا الموقف الذي يكشف عن خيانة الشيطان للعهد:

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتْ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[١].

وقال في اليهود مخاطباً نبيَّه:

(وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ)[٢].

ولما حذَّرَ الله المؤمنين من إتباع خطوات الشيطان علَّلَ ذلك بقوله (فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)[٣]. وقد وصف الله المنافقين بقوله (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمَعْرُوفِ)[٤] ولما كان اليهود منهم المنافقون فقد شاركوا الشيطان في هذا النعت.

ثم إليك منزلةً أخرى من رديء أوصافهم:

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٨.
(٢) سورة المائدة، الآية ١٣.
(٣) سورة النور، الآية ٢١.
(٤) سورة التوبة، الآية ٦٧.

إنها نكث العهود ونبذ المواثيق، فهم والشيطان والمنافقون في هذا سواء (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ)(١) وقال في حق هؤلاء (أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ)(٢). (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)(٣).

وأود أن ألفت النظر إلى أمر جامع بين الشيطان وبين بني إسرائيل:

قال الشيطان لربه (لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)(٤) ليضلهم ويعدهم ويمنيهم (وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا)(٥) وقال الله فيه:

(وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا)(٦).

وقال في بني إسرائيل كاشفاً عن سابق عهدهم، منبهاً قوم عيسى ألا يكونوا مثل أولئك الذين من صفتهم الضلال والإضلال:

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٨٧.
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٦.
(٥) سورة النساء، الآية ١٢٠.
(٦) سورة يس، الآية ٦٢.

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)(١).

فكما أراد الشيطان أن يرد المؤمنين كفاراً من بعد إيمانهم (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ)(٢).

وقال في حق هؤلاء (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً)(٣) وقال (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ)(٤).

ثم ينقلنا البيانُ إلى صفة الكذب الذي قال الله فيها (وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا)(٥) فإن الكذب الصفة الأخرى الجامعة بين الشيطان وبين بني إسرائيل. فآية الأعراف تنبئك عن كذب الشيطان، قال الله تعالى (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنْ النَّاصِحِينَ)(٦) يقول أبو السعود (أي أقسَمَ لهما. وصيغة المغالبة للمبالغة. وقيل

---

(١) سورة المائدة، الآية ٧٧.
(٢) سورة الحشر، الآية ١٦.
(٣) سورة النساء، الآية ٨٩.
(٤) سورة البقرة، الآية ١٠٩.
(٥) سورة النساء، الآية ٥٠.
(٦) سورة الأعراف، الآية ٢١.

أقسما لـه بـالقبول وقيـل قـالا لـه أتقسـم بـالله إنـك لمـن الناصحين وأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة)[١].

وكذب هؤلاء أوضح مما يحتاج إلى بيان. وإنك لتجد سورة (المنافقون) شاهدةً على كذبهم. وكما ورد في سورة النساء في وصف اليهود (انظُـرْ كَيْـفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا)[٢].

وبعد هذا العرض أكتفي بالقليل عن الكثير، وبالشرر عن اللظى، وبالنزر اليسير من تاريخ شرهم المستطير ويبدو –والله أعلم- أن أوصافهم هذه ستستمر بهم إلى يوم القيامة. والله لا يعذب أحداً إلا بذنب: قال الله تعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ)[٣].

فهل يستمر بهم هذا الحكم العدل إلى يوم القيامة وهم على خير، حاشا لله أن يفعل بهم أو بغيرهم ذلك، إنما هي سيرة السوء التي هم عليها: ألم يأن للذين أمنوا أن ينتبهوا لعدوهم فيأخذوا حِذْرَهم ولا يكونوا أولياء لهؤلاء فيرتدوا على أعقابهم كافرين (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

---

(١) أبو السعود، ١١١/٢.
(٢) سورة النساء، الآية ٥٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٦٧.

يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)[١].

فلا يحسبَنَّ المسلمُ أن هذا الخطابَ المحذِّر وَقْفٌ على صحابة رسول الله ﷺ فكتاب الله يُتْلى على عباده إلى يوم القيامة، وسنة نبيه باقية مفتحة أبوابها إلى قيام الساعة.

فلا بد لي بعد ما تقدم أن أبين حقيقة أمة محمد ﷺ تلك الأمة التي قَدَّسها القرآن فاعقد مقارنة بين ما كان عليه بنو إسرائيل، وبين ما كان عليه صحابةُ نبي الله ﷺ.

شهد الله في كتابه الباقي شهادة لا يدخلها أدنى ارتياب. أن أمة الخير هي أمة محمد ﷺ قال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[٢] وصدق الله العظيم (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)[٣].

قال الحسن البصري: بلغ من تشدد الصحابة على الكافرين أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم. وبلغ من تراحمهم

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٠٠-١٠١.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٠.
(٣) سورة الفتح، الآية ٢٩.

فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافَحَه وعانقه على خلاف بين الفقهاء في المعانقة[١].

ولقد أدب محمد ﷺ صحابته بسلوكه وأعماله أكثر مما أدبهم بوصاياه وأقواله فلقد صَلَّوا كما رأوه يصلي، وأخذوا عنه في الحج مناسكهم، وكانوا ﷺ بالإقتداء به تفسيراً واعياً لقول الله (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[٢].

وقوله (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[٣] وقوله (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)[٤].

وإليك اقباساً من مدرسة الوحي الإلهي مدرسة محمد ﷺ التي شكلت بناء هذه الأمة جدارا وسقفاً وأرضاً تقوم على هدى من الله حتى نميز بهذا المثل بين أمة قالت لنبيها (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا)[٥]. وبين أمةٍ كان فيها الأوائل الذين بنى الله بهم أساس

---

(١) منبر الإسلام، أمة قدسها القرآن، العدد/١٢، السنة/٢٢، ص ١٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١.
(٣) سورة آل عمران، الآية ٣١.
(٤) سورة النور، الآية ٥٤.
(٥) سورة المائدة، الآية ٢٤.

هذه الأمة وأرسى قواعدًها فمن أولئك ما يجيئك عنه الخبر.

روى ابن إسحاق، (أما زيد فابتاعه صفوان بن أمية فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمدا)[١].

وإليك أيها القارئ الكريم هذا الوصف الذي جرى على لسان عروة بن مسعود الثقفي، يكشف عن العلاقة المحمودة التي كان عليها أصحاب النبي بنبيهم ﷺ ولتعلم أن هذه الشهادة للثقفي قد حصلت قبل إسلامه (ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له.

---

(١) سيرة ابن هشام، ١٧٢/٢.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أيْ قوم والله لقد وفدتُ على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت مِلكاً قط يعظمه أصحابهُ ما يعظم أصحابُ محمد ﷺ محمدا! وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها)[١].

وهذا نموذج آخر ونبراس من نباريس أصحاب محمد ﷺ إنه أنس بن النضر: فقد جاء في تفسير ابن كثير في سبب نزول الآية (مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا)[٢].

قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال أنس رضي الله عنه إن عمه يعني أنس بن النضر رضي الله عنه لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر فشق عليه فقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه! لئن أراني الله تعالى مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله عز وجل ما أصنع قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد فأستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال له أنس رضي الله عنه: يا أبا عمرو لريح الجنة إني أجده دون أحد قال: فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه قال: فوجد في جسده بضع وثمانون بين

(١) فقه السيرة، البوطي، ص٢٤٦.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

ضـربة وطعنـة ورميـة فقالـت أختـه عمـة الربيـع إبنـة النضـر فمـا عرفـت أخـي إلا ببنانـه، قـال فنزلـت الآيـة (من المؤمنين رجال صدقوا ...) [1].

أقـول:

ويذكرنـي أنس هذا بأخ أنـس بـن مالـك إنـه البـراء فـدونك هـذا الموقـف الـذي أفصـح عـن صـدق إيمـان وصـفاء يقينـي وإخـلاص فـي العمـل تنبـيء عنـه تلكـم التضـحية الجهاديـة الفـذة المتمثلـة فـي شـخص البـراء: (زحـف المسـلمون إلـى المشـركين فـي اليمامـة حتـى ألجـأوهم إلـى الحديقـة –وفيهـا عـدو الله مسـيلمة- فقـال البـراء بـن مالـك يـا معشـر المسـلمين ألقـوني علـيهم فأحتمل حتى فتحها على العدو ودخل عليهم المسلمون فقتل الله مسيلمة)[2].

وكـل وصـف نقدمـه بـين يـدي القـارئ هـو دون وصـف الله عز وجل لنبيـه وصـحبه الكـرام. وإليك من أزاهيـر القـرآن مـا يفـوح عبيرهـا وينتشـر أريجهـا فـي نفوس أهل الإيمان ثـم ينطلـق إلـى سمـاء الـدعوة عبيـرا وشـذى رقيقـاً فأسـتمع إلـى شـهادة الحـق إذ يقـول (لَكِـنْ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ)[3].

---

(١) ابن كثير، ٤٥٨/٣.

(٢) رجال حول الرسول، ص ٤٤١- بتصرف.

(٣) سورة التوبة، الآية ٨٨.

ويقول (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[١].

وبهذا الذكر العطر للأوائل من هذه الأمة أقول: هل وجدنا في بني إسرائيل هذا الصدق من الإيمان والقوة في الإخلاص والتضحية في الجهاد والحب لله ورسوله وحسن الأتباع لأنبياء الله عليهم السلام ؟!

اللهم أنت تعلم أنه ليس فيهم إلا ما كان عليه أنبياء بني إسرائيل.

إنهم شعب مضيع، آتاهم الله نعما لا يحيط بها الإحصاء، وميزهم بلطائف الفضل ليبتليهم فما حفظوا نعمة بشكر ولا شريعة باتباع ولا أمرا بطاعة، استحوذت عليهم اثرة مردية وتملكهم عناد غليظ واستحوذ عليهم الحقد والحسد وتغلغل الطمع في نفوسهم، فصدفوا عن الحق فأحاط بهم الخوف والهلع إحاطة الثوب بالجسد ولازمهم النفاق ملازمة الغريم للغريم لذلك تجدهم أحرص الناس على حياة، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، فما أجمل هذا التعبيرَ القرآنيَ في الكشف عنهم فأنظر إلى كلمة (حياة) في هذا التعبير القرآني التي جاءت نكرة لتدلَّ على أن

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٠.

هؤلاء يحرصون على نمط معين من الحياة، فلا يريدون أن يخرجوا من هذه الدنيا لذلك ابتغوا كل وسيلة توصلهم إلى مآربهم وسلكوا في إشباع نهمهم كل سبيل، وكانوا يلهثون وراء أهوائهم وشهواتهم، وليس في حسابهم إله يعبد أو رب يحمد أو بعث أو نشور.

هذه طبيعة انتقلت فيهم جيلاً بعد جيل، وسرت في نفوسهم سريان الدم فما يستطيعون الانسلاخ منها أبداً. وإن تحدثنا عنهم في عهدهم الأول ثم في عهود تلتها نجد هذه الطبائع تتكرر في كل جيل من أجيالهم، وصدق من قال (الحية لا تلد إلا حية) لقد افتروا من قبل على أنبياء الله فقد اتهموا يوسف بما ليس فيه (قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ)[1].

وافتروا على هارون عليه السلام بأنه هو الذي أمرهم بعبادة العجل كما مذكور في سفر الخروج –الإصحاح الثاني والثلاثون-.

---

(١) سورة يوسف، الآية ٧٧.

وبعد فإليك هذه الوصية التي لابد منها في البحث العلمي أقول:

ينبغي على الراغب في قراءة العهد القديم (التوراة) أو من تدعوه حالة البحث أن يطلع على التوراة أن يكون ذا يد ضاربة في التحصيل العلمي وذا بعد ثاقب في التمييز بين الغث والسمين وذا جانب عريض في مضمار العلم وذا قلب مطمئن بالإيمان فتلكم وسائل ينبغي أن تتقدم قراءة هذا الكتاب، لأن فيه ما لا يوجد إلا فيه من تجاوز على الله وأنبيائه وملائكته وسائر الناس وإليك البيان مما احتواه:

(وابتداء نوح يكون فلاحاً وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشياً إلى الوراء وسترا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به إبنه الصغير، فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم)[١].

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح التاسع، ص٢١-٢٨.

(وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحي من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمراً الليلة أيضاً فأدخلي واضطجعي معه فنحي من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها، ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه مواب وهو أبو المرابين إلى اليوم والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم)(١).

(وقال موسى لهارون ماذا اصنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة، فقال هارون لا يحم غضب سيدي، أنت تعرف الشعب إنه في شر فقالوا لي اصنع لنا آلهة لتسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر، ص٣٠-٣٩.

أصـابه، فقلـت لهـم مـن لـه ذهـب فلينزعـه ويعطينـي فطرحته في النار فخرج هذا العجل)[1].

(وكان في وقت المساء أن داؤد قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا فأرسل داؤد وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بشثبع بنت اليعام امرأة اوريا الحثي فأرسل داؤد رسلا وأخذها فدخلت إليه فأضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داؤد وقالت إني حبلى)[2].

أقول: ومن أجل أن يخفي داؤد فعلته حسبما يزعمون ويتخلص من زوجها لتخلص إليه المرأة أقدم على قتله بأسلوب يكشف عن سوء نية وخبث طوية، فهل يرتضيها العقلاء؟

(وفي الصباح كتب داؤد مكتوبا إلى يوآب وأرسله بيد اوريا وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت)[3].

هذا ما استطعنا إليه سبيلا في اقتباس أمين من كتاب العهد القديم –التوراة- أضعه بين يدي القارئ ثم

(١) سفر الخروج، الإصحاح الثاني والثلاثون، ص٢٢-٢٥.
(٢) سفر صموئيل، الإصحاح الحادي عشر، ص٣-٦.
(٣) المصدر السابق، ص١٤-١٦.

اجتزئ له من بيان القرآن لمكانة الأنبياء في كتاب الله –القرآن الكريم- (وبضدها تتميز الأشياء) و (الضد يظهر حسنه الضد) فسبحان الله الذي خلق الأضداد فلولاها ما تميزت الأشياء غثها من سمينها ولا حقيرها من عظيمها ولا ظلمتها من نورها وإليك بعد هذه الشهادات القرآنية عن طهر النبيين ونقاء المرسلين وصفاء دين رب العالمين.

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[١].

فما ظنك بعبد يثني الله عليه، ويشهد بأنه من عباد الله المؤمنين والمحسنين ففي سورة الصافات (سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)[٢].

وفي إبراهيم عليه السلام (سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)[٣] وفي إسحاق عليه السلام (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ۞ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ)[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٣، ٣٤.
(٢) سورة الصافات، الآية ٧٩-٨١.
(٣) سورة الصافات، الآية ١٠٩-١١١.
(٤) سورة الصافات، الآية ١١٢، ١١٣.

وفـي يوسـف عليه السلام (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)(١) هذا هو يوسف الذي ابتلاه الله بنعمة الجمال (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)(٢). وكانت قد اجتمعت عليه كل أسباب الفتنة جمال زوج العزيز، القصر الفاره، المال، السلطان كل ذلك ويوسف يدعو ربه أن يصرف عنه كيدهن. وعلم الله منه صدق نيته فصرف عنه كيدهن، وعاش يوسف مبرءا من كل تهمة ومجردا من كل خطيئة ... وقد جرت عادة الحق أن يعصم أنبياءه ليسلم بهم دين الله.

وهذا لوط يخاطب قومه (إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنْ الْقَالِينَ)(٣) فكان حكم قومه عليه (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)(٤).

وعن موسى وأخيه هارون (سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)(٥).

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا)(٦).

---

(١) سورة يوسف، الآية ٢٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.
(٣) سورة الشعراء، الآية ١٦٨.
(٤) سورة النمل، الآية ٥٦.
(٥) سورة الصافات، الآيات ١٢٠-١٢٢.
(٦) سورة مريم، الآية ٥١.

وفي إسماعيل (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا)(١).

وفي إدريس (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۞ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)(٢).

وفي داؤد (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)(٣).

وفي سليمان (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)(٤).

ثم قال الحق فيه (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ)(٥).

ثم يسجل القرآن ذكرا طيبا لجمع من النبيين كأن الكلمات ترسم لوحة شرف وتشريف وكرم وتكريم من الله رب العالمين لجمع من النبيين. فخذ وتأمل واستمع وتدبر:

(وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ۞ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى

---

(١) سورة مريم، الآية ٥٤، ٥٥.
(٢) سورة مريم، الآية ٥٦، ٥٧.
(٣) سورة ص، الآية ١٧.
(٤) سورة ص، الآية ٣٠.
(٥) سورة ص، الآية ٤٠.

الـدَّارِ ﴿ وَإِنَّهُـمْ عِنْـدَنَا لَمِـنْ الْمُصْـطَفَيْنَ الأَخْيَـارِ ﴿ وَاذْكُـرْ إِسْـمَاعِيلَ وَالْيَسَـعَ وَذَا الْكِفْـلِ وَكُـلٌّ مِـنْ الْأَخْيَارِ)[1].

ثم يجيء بنا الحق في عموم ذكر هؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم من بين خلقه (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَانِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا)[2].

لذلك يصدر الأمر الإلهي الملزم لنبيه محمد ﷺ أن يقتدي بهدى أولئك النبيين لأن هديهم هو هدى الله الحق المبين (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ)[3].

كما أمره في سورة آل عمران أن يؤمن بما أنزله عليهم وبما نزل على المرسلين وأمره وأمته في سورة البقرة أن يؤمنوا بذلك كله دونما تفريق ولا تفريط (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[4].

---

(١) سورة ص، الآية ٤٥-٤٨.
(٢) سورة مريم، الآية ٥٨.
(٣) سورة الأنعام، الآية ٩٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية ٨٤.

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(١).

ففي نظر الإسلام كتاباً وسنة أن دين الله واحد، وإنما تعددت شرعة ومنهاجا فذلكم من حكمة رب العالمين (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(٢).

فلقد اقتضت مشيئته أن يجعل لكل قوم هادياً ولكل أمة نذيراً يجمعهم أصل واحد: هو الأساس الذي يقوم عليه الدين إنه عقيدة التوحيد (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)(٣).

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبُدُونِ)(٤).

لذلك تجد القرآن يحدثنا عن رسل الله جميعاً بأنهم يفتتحون رسالتهم ودعوة قومهم إلى ربهم بقولهم (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)(٥).

فلقد قالها نوح لقومه وإبراهيم لبنيه وقومه، ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد ﷺ.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٦.
(٢) سورة الملك، الآية ١٤.
(٣) سورة النحل، الآية ٣٦.
(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية ٥٩.

وهـذا الأصـل الـذي نقـل إلـى الخلـق أسـاس التوحيـد مـن الله علـى ألسـنة رسـل الله، لـذلك يجـيء الخطاب لأمة الخير من ربهم (شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)[(١)].

فأنت تجد في هذه الوصية الإلهية حلقة تجمع بين الأديان بدءا بنوح وانتهاء بخاتم الرسل فقد جاء الحديث (مثلي وَمَثَلُ الأنبياء كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له! ويقولون هلاّ وضعت هذه اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين)[(٢)].

لذلك أطلق الله مسمى الإسلام على سائر النبيين وهذا منهج الحق الذي سار عليه المسلمون لا يفرقون بين أحد من رسل الله. ترى قائلهم إذا ذكر اسم رسول يقول: سيدنا موسى عليه السلام، سيدنا عليه السلام، سيدنا يحيى عليه السلام، وإني لألفت نظر القارئ الكريم إلى أمر تتجلى فيه عظمة القرآن الكريم إذ ترى فيه حديثا مطولا عن مريم أم عيسى، وأظن ذلك تكريماً من الله لنبيه وكلمته عيسى عليه السلام قبل أن يكون تكريماً إلى

---

(١) سورة الشورى، الآية ١٣.
(٢) أخرجه البخاري، ٤٣٦/٦، ومسلم ٧٤/٧، ٦٥.

مـريم، لأن تزكيـة الأم وطهرهـا إنمـا يـنعكس علـى رسالة سيدنا عيسـى عليه السلام. لذلك ما ذكره الله في كتابه في مريم أكثر مما يذكره عن عيسى عليه السلام فإنك تجد آيات بينات ترفع مريم فوق نساء العالمين.

(وَإِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)(١). ثم يأتي حديث القرآن عن كفالة نبي الله زكريا لمريم لتنشأ في بيت النبي نشأة الخير والصلاح (وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)(٢).

اقتضت مشيئة الله أن يسلم هذه الوليدة التي تقبلها بقبول حسن إلى زكريا نبتة صالحة في التربية الكريمة الصالحة وهل يأتي الخير إلا بالخير، وإنما ذكرتُ للقارئ شيئا عن مريم ... وإن لم تكن من الأنبياء ليعلم أولا أن القرآن وحي الله الحق، وإلا فما علاقة محمد صلى الله عليه وسلم بذكر مريم، وأنى له أن يعرف مريماً إن لم يكن الله عز وجل قد أخبره بذلك (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)(٣).

ثم أترك للقارئ ثانياً أن يميز بعقل العلم

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٤.

والإنصاف بين ما هو بين أيدينا من عهد قديم وعهد جديد، وبين القرآن الكريم. وما قدمنا عن التوراة أظنه يكفي أن يكون شاهداً ودليلَ صدق على أن هذه الكتب دون القرآن قد أصابها التبديل والتحريف والتغيير، وأنها لتحمل في طياتها أسبابَ بطلانها، وإن القرآن ليحمل في آياته أسباب بقائه وسر تأثيره على القلوب.

(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(١).

وبعد فهل يبقى لمن ينتسب للإسلام عذر في البعد عن دينه؟ وقد علم أن الإسلام هو دين الحق المبين، فمن شأن القرآن أن يعظم رسل الله لأن في تعظيمهم تعظيماً لدين الله، لذلك جرت عادةُ الحق أن يخبر الخلق عن رسله بأنه قد اصطفاهم واجتباهم واختارهم من بين خلقه، وأحاط حياتهم بالعصمة التي تقرع هوى النفوس وتقود القلوب إلى علام الغيوب، فلو تدبر المسلم سورة الصافات لوجد فيها مالا يوجد إلا فيها من تكريم لرسله: تحدثت عن خاتم النبيين وموقف قومه منه، تحدثت عن نوح، عن إبراهيم، عن إسحاق، عن موسى وهارون، عن إلياس، عن لوط وعن يونس ثم يجيء ختام السورة موحياً بتكريم الله

---

(١) سورة يونس، الآية ٣٧.

لأولئكم المرسلين وسائر إخوانهم فأقرأ قوله تعالى (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(١).

وإليك أيها القارئ ما أراه مناسباً في ختام البحث عن بني إسرائيل هذه النظرة التحليلية الرائعة، وإنما جعلتها أخر البحث لتحظى بتأمل القارئ الحصيف وليحظى بها هو، مفتاحا لتأملات أخر قد يوفق فيها أكثر مما وفقنا فيه فميدان البحث مفتحة أبوابه (إن القرآن لم يخاطب الأخلاف بما كان عليه الأسلاف إلا اليهود فما خاطب المشركين بجرائم من سبقوهم، ولا خاطَبَ النصارى بأخطاء أسلافهم، ولكن خاطَبَ اليهودَ بما كان عليه مَنْ سبقوهم: فهو قد نسب عبادة العجل إليهم جميعاً مع أن عبادة العجل كانت من السابقين، ولم تكن من الحاضرين، ونسب إليهم قتل النبيين جميعاً مع أن القتل كان من سابقيهم، قال سبحانه وتعالى (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)(٢))(٣).

---

(١) سورة الصافات، الآية ١٨٠-١٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٧.

(٣) مجلة لواء الإسلام.